رسول الإسلام ص في المدينة / الجزء الأول
للإمام الشيرازي ره

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

(قادة الإسلام) لهم تاريخ مشرق، لكن شباب المسلمين قد ابتعدوا عنهم بما وضع المستعمر الصليبي من عراقيل دون فهمهم والاطلاع على تاريخهم، لئلا يُتخذوا أسوة يُقتدى بهم في مجالات الحياة، وكثيراً ما شوّهوا - بأنفسهم أو بأيدي عملائهم - سيرة (القادة) حتى يتنفر منهم الناس، بله الالتفاف حولهم، والاقتداء بهم.

هذا ما حداني إلى أن أكتب (سلسلة قادة الإسلام) في كراسات صغيرة، لتنوير أذهان الشباب الذين لا يتمكنون مراجعة كتب السِيَر الكبار، وقد طبعت مدرسة (حفاظ القرآن الحكيم) في كربلاء المقدسة أربعة أجزاء منها (مجلدين) ورغبت إدارة (منابع الثقافة الإسلامية) جعل ثلاثة منها (١) و(٢) و(٣) من (الرسول ﷺ في المدينة) في مجلد ضمن أعداد سلسلتها، فلبيت رغبتها، والمسؤول من الله سبحانه أن يوفق (المدرسة) و(الإدارة) لأداء رسالتهما الإسلامية، وأن يهدى شبابنا لما فيه الخير والسعادة، ويتقبل منا ذلك بأحسن قبول، وهو المستعان.

كربلاء المقدسة

محمد بن المهدي

١
خروج النبي ﷺ من مكة

يقوم نبي الإسلام محمد ﷺ ليدعو الناس إلى الحق وإلى صراط قويم، ويهديهم إلى السعادة الأبدية، وينقذهم من براثن الظلمة والهلاك.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾(١).

وهناك في مكة حيث مولده ومبعثه، يقوم الرسول ﷺ بأعباء الرسالة فيدعو قومه:

١: قولوا «لا إله إلا الله» تفلحوا.

٢: اشهدوا أن محمداً رسول الله.

٣: اتركوا عبادة الأصنام وما لا يضر ولا ينفع.

---

(١) سورة الجمعة: ٢.

٤ : تأدبوا بالآداب الإسلامية الراقية.

٥ : لا تظلموا، ولا تخونوا، ولا تكذبوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله.

٦ : آمنوا بالمعاد، والجنة والنار.

لكن القوم، قد جبلوا على العادات الفاسدة والتقاليد البالية.

فلا يصغون إلى دعوته، ويكيلون له ولمن آمن به السباب والأذى، ويقتلون من سنحت لهم الفرصة من المسلمين، ويضغطون على جماعة آخرين، حتى يفروا بدينهم إلى الحبشة، حيث الملك الرؤوف (النجاشي) ويضيقون النطاق حول الرسول ﷺ بمختلف صنوف التضييق.

ثم أخيراً: يتآمرون عليه، ليقتلوه في ليلة معينة، سميت فيما بعد: بـ (ليلة المبيت) فيفر الرسول ﷺ من كيدهم إلى خارج مكة، حتى يختفي في (غار ثور) ثلاثة أيام، ومنه يهاجر إلى (المدينة المنورة).

٢
قصة الإسراء والمعراج

لقد اتفق قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حادث مهم جداً هو (الإسراء والمعراج) ..

فقد أراد الله سبحانه أن يري رسوله ﷺ ملكوت السماوات، فأنزل جبرئيل عليه، مع ناقة من نوق الجنة، وكان النبي ﷺ إذ ذاك في بيت بنت عمه (أم هاني) أخت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فقام النبي ﷺ وصلى ركعتين، ثم ركب (الناقة) وأسمها (براق) وطارت بإذن الله تعالى من (مكة) إلى (القدس) كما قال سبحانه:

﴿سُبْحَانَ الّذِي أَسْرَىَ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىَ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (١).

وهناك، في المسجد الأقصى، نزل، وصلى.

---

(١) سورة الإسراء: ١.

ثم ركب ﷺ الناقة ـ مرة ثانية ـ وجبرئيل عليه السلام في خدمته، فطارت الناقة بإذن الله تعالى نحو السماء، حتى إذا وصلت في طيرانها أمام (مسجد الكوفة) استأذن الرسول ﷺ أن ينزل إليه، ويصلى فيه، فأذن الله له، فنزل وصلى في وسط المسجد، حيث مقامه الآن.

ثم ركب الناقة (براق) وطارت بإذن الله تعالى في الهواء، وساح الرسول ﷺ في الفضاء اللايتناهى، إلى حيث شاء الله سبحانه ودخل الجنة، ورأى أهلها، وأشرف على (جهنم) واطلع على أهلها.. واجتمع بأرواح الأنبياء والأولياء عليهم السلام، واقترب من المنزلة التي لا يقترب منها أحد .. ثم رجع إلى الأرض.

كل ذلك في ليلة واحدة، حيث طوى الفضاء كلمح البصر.

وهذا الحادث وقع قبل الهجرة بمدة.. وقد تلقى الرسول ﷺ في المعراج بعض الأحكام الإسلامية عن الوحي.

٣
اللقاء بأهل يثرب في منى

في (منى) في موسم الحج، لقى جمع من أهل (المدينة) الرسول ﷺ فآمنوا به ..

وفي سنة ثانية لقي جمع أكبر الرسول ﷺ في (منى) أيضاً، فآمنوا به.

وكان هذا الإيمان من أهل (المدينة) كنواة للدعوة الإسلامية هناك.

لذا.. اختار الرسول ﷺ (المدينة) داراً لهجرته..

فبعد ما تآمر عليه المشركون و فرّ من (مكة) نحى نحو المدينة، وسار حتى وصل إليها. وهناك لقى استقبالاً حافلاً، فقد انتشرت الدعوة قبل مجيء الرسول ﷺ انتشاراً مدهشاً، وحتى إن قسماً من الذين لم يؤمنوا بالرسالة، كانوا فرحين لهذا المجيء المبارك، لحسابات أخر.

ولم يطأ قدم رسول الله ﷺ أرض المدينة، إلاّ وتسمع أذناه الكريمتان، هذه الأبيات:

«طلع البدر علينـــا مـــن ثنيـات الوداع

وجب الشكر علينا مـــا دعـــــا لله داع

أيها المبعوث فينـــا جئت بالأمر المطاع»

وقد سرّ الرسول ﷺ بهذا الإقبال والحفاوة سروراً بالغاً، إنه يرى الترحيب به وبدينه، ويسمع الأشعار تنشد فيه.. بعد طول ما رأى في (مكة) الإهانة والازدراء، وما سمع فيها من الهجو والاستهزاء.. ألم يسمع ما علموه صبيانهم من هذه الأبيات:

«مُذمّماً (أي محمد) قلينا ..

ودينه أبينا ..

وأمره عصينا ..».

وفي (المدينة) لأول مرة، يتنفس النبي ﷺ ويلمس جواً ملائماً للدعوة وأداء الرسالة الإسلامية، ويشعر بالاستقرار والاطمئنان.

٤
مهمة الرسول ﷺ في المدينة

كان عمر النبي ﷺ إذ هاجر (ثلاث وخمسين سنة)، ودخل (المدينة) يوم الاثنين، في الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

وفيما بعد ذلك، أبان (حكم عمر) أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأن يكون مبدأ تاريخ الإسلام هجرة الرسول ﷺ، فجعلوه أول محرم تلك السنة، باعتبار أن محرم أول السنة.

وكان دخول الرسول ﷺ في (المدينة) يقرر القسم الثالث من حياة الرسول ﷺ، التي انقضى شطر منها قبل البعثة، كانت مدتها (أربعين سنة) .. وانقضى الشطر الثاني، بعد المبعث وكان قدره (ثلاث عشرة سنة) .. وهذا بدء دخوله ﷺ في الشطر الثالث الذي شاء الله تعالى أن يدوم (عشر سنوات) ليكون مجموع عمره المبارك (ثلاثة وستين سنة).

وقد كانت مهمة الرسول ﷺ في (المدينة) عسيرة جداً، فكان اللازم عليه أن:

١ـ يبلغ دين الإسلام كاملاً غير منقوص.

٢ـ وأن يجعل نظاماً للحياة يشمل جميع جوانبها.

٣ـ وأن ينظم دولة راسخة الأركان قويمة الأطراف.

٤ـ وأن يكوّن أمة مسلمة لها سماتها وميزاتها.

ولم تكن (المدينة) خالصة للرسول ﷺ يعمل ما يشاء بلا منازع ولا مناوئ.

أ: فمن ناحية كانت اليهود تلقي المشاغبات والفتن.

ب: ومن جهة كانت النصارى تناوئ الدعوة الجديدة.

ج: أما المشركون فكانوا يرون في الدين الجديد خطراً عظيماً عليهم.

د: ومن ناحية رابعة كان المنافقون الذين تستروا بستار الإسلام خوفاً أو طمعاً، وكانوا يتربصون بالنبي ﷺ الدوائر.

هـ: هذا مع الغض عن المخاوف التي كانت تساور المسلمين من دولتي (فارس) و(الروم).

٥
في دار أبي أيوب

كان الاستقبال حافلاً يوم قدوم النبي ﷺ المدينة.

ولما وصل الرسول ﷺ إلى (المدينة) لم ينزلها، بل بقى خارجها ينتظر قدوم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث كان الرسول ﷺ أباته في فراشه في مكة، وأمره بأن يرجع الودائع إلى أصحابها بعد خروج الرسول ﷺ.

فلحق علي عليه السلام بالرسول ﷺ، بعد ثلاثة أيام .. ونزل علي عليه السلام حيث نزل الرسول ﷺ من ذي قبل في دار (كلثوم).

فأقام النبي ﷺ هناك، يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء.

وأسس هناك (مسجد قبا).

ثم ركب ناقته، وتوجه إلى (المدينة).

فجاءه جماعة من بني سالم وقالوا: يا رسول الله، أقم عندنا في العدد والعُدة والمنعة.

فقال: خلوا سبيلها، فانها مأمورة ـ يريد ﷺ بذلك عدم التعرض للناقة، حتى تبرك هي بنفسها .

ثم.. تلقى الرسول ﷺ في طريقه جماعة من بني بياضة، وطلبوا نزوله، وأجاب بمثل ذلك الجواب.

وتلقاه ﷺ في الطريق جماعة آخرون من بني ساعدة وطلبوا نزوله..

وتلقاه ﷺ بعدهم أناس من بني الحارث..

حتى إذا أتت الناقة إلى ما يقرب من دار بني مالك، بركت على (باب مسجد الرسول ﷺ)، وهو حينئذ (مربد) لغلامين يتيمين فلم ينزل رسول الله ﷺ حتى إذا قامت من مكانها، وبركت مرة ثانية نزل الرسول ﷺ من عليها.

واحتمل (أبو أيوب) رحل رسول الله ﷺ ووضعه في بيته، ونزل الرسول ﷺ هناك.

وبقى في بيت (أبي أيوب) حتى إذا تم البناء الذي بني له بجوار المسجد، فانتقل إليه.

٦
مسجد النبي ﷺ

إن الرسول ﷺ ـ بطبيعة الحال ـ يحتاج إلى محل لإقامة الصلاة ووعظ الناس، وبث الأوامر فيهم، والفصل بين الخصومات.

ولا أحسن لذلك كله من (المسجد) ولذا أمر الرسول ﷺ بذلك، فانتخب له الموضع الذي بركت فيه ناقته، فاشتراه الرسول ﷺ وسويت أرضه وكانت مساحته ـ كما يذكره البعض ـ خمسة وثلاثون ذراعاً في ثلاثين (٣٥×٣٠= ١٠٥٠).

فأخذ الرسول ﷺ يعمل مع سائر أصحابه في هذا الأمر حتى تم البناء، وكانت جدرانه قدر ذراع ثم أضيف عليها.

وفي ناحية من (المسجد) أقيمت ظلة من الجريد على قوائم من جذوع النخل، وسميت بـ(الصفة) يجتمع فيها المسلمون الذين لامأوى لهم.

وكان ﷺ يصلي في المسجد بأصحابه ويتكئ على جذع نخل إذا أراد الخطابة، ثم صُنع له (منبر) فكان يرقيه وقت الخطبة والإرشاد.

وكان ﷺ يجلس في المسجد في حلقة مستديرة لا يميز صدرها من ذيلها، فكان الناس إذا جاءوا لم يعرفوا الرسول ﷺ، فيقولون: أيكم محمد؟

فالتمس منه ﷺ بعض الصحابة أن يبني له شبه دكة ليكون معلوماً لدى الجائي، فلا يحير في أمره، فقبل ﷺ ذلك.

وكان ﷺ يصلي بأصحابه الصلوات الخمس، في المسجد في أوقات متفرقة، أو يجمع بين الصلاتين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء.

وضع للمهاجرين الذين هاجروا معه بيوتاً حول المسجد، كانت تفتح أبوابها في المسجد، حتى أمره الله تعالى بغلق تلك الأبواب، فأغلقها إلاّ باب بيت أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد كان المسجد المركز القيادي الإسلامي في جميع الشؤون الدينية والدنيوية.

وهذا المسجد ليس الآن على قدره الأول، بل وسع مراراً.

٧
المؤمنون والمنافقون والكفار

انقسم الناس أمام الدعوة الإسلامية، إلى أقسام ثلاثة:

١. المؤمنين، الذين آمنوا بالله ورسوله حقيقة وواقعاً.

٢. والكافرين، الذين أظهروا الكفر والشقاق..

٣. والمنافقين، الذين أبطنوا الكفر، وأظهروا الإسلام.

وفي (المدينة) ظهرت هذه العناصر الثلاث بأجلى مظاهرها.. واسمات كل صنف للإسلام أو عليه.

فالمؤمنون أخذوا يرصون صفوفهم، بقيادة الرسول ﷺ وينظمون أمر دينهم ودنياهم، في جو من الحرية والانطلاق والاختيار.

والكافرون أخذوا يخشون الدعوة الإسلامية، فيجهزون قواهم للوثوب على الدين الجديد مهما كلف الأمر.

والمنافقون كانوا مذبذبين يبن ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يريدون أن يرضوا الرسول ﷺ وأصحابه، في الملأ

بألسنتهم، وإذا خلوا إلى شياطينهم، قالوا: إنا معكم إنما نحن مستهزئون، ويكيدون للإسلام في الخفاء.

ومن جراء انقسام الملتفين حول راية الإسلام إلى مؤمن ومنافق، حدثت أحداث جسام، وأمور مهمة، غيرت مجرى التاريخ الإسلامي تغييراً كثيراً.

كما إن من جراء تقابل المسلمين للكافرين، وقعت حروب ومنازعات وغزوات، كان الكفار هم السبب الوحيد في إثارتها وإسعار نارها.

وقد ظهرت في خلال تلك الحروب، إنسانية النبي محمد ﷺ، وسمو نفسه الكريمة، ورفعة مبادئ الإسلام حيث كانت أنظف حروب عرفتها الدنيا.

ولم يكن عدد القتلى أكثر من سبعمائة من طرف الكفار، كما أحصاه بعض المطلعين، مع أن الحروب والغزوات كانت نيفا وثمانين.

وفي جميعها كانت الغلبة للإسلام، والفشل للكفار.

وفي الصفحات التالية، نوجز الحروب التي باشرها الرسول ﷺ بنفسه، وهي نيف وعشرون.

٨
الحروب والغزوات

أبواء

خرج الرسول ﷺ في شهر صفر، بعد اثني عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة، إلى (الأبواء).. يريد (قريش) و(بني حمزة) وكان لواؤه بيد عمه (حمزة عليه السلام) ومعه ستون رجلاً، فصالح (بني حمزة) على أن لا يغزونه، ولا يكثرون عليه جمعاً، ولا يعينون له عدواً، ثم رجع إلى (المدينة).

بواط

وخرج ﷺ في شهر ربيع الأول من نفس السنة، مع مائتين من أصحابه إلى (بواط) يريد بذلك (عير قريش) يرهبهم، حتى يكفوا عن المسلمين المستضعفين الذين يؤذونهم في (مكة).. ثم رجع إلى (المدينة).

العشيرة

وخرج ﷺ في شهر جمادى الأولى من نفس السنة، مع مائة وخمسين رجلاً، يحمل لواءه (حمزة عليه السلام).. يريد (عير قريش) وفي هذه السفرة، وادع (بني مدلج) وخلفاءهم، ولم يقع نزاع.

بدر الأولى

وخرج ﷺ في شهر جمادى الثانية من نفس السنة، مع جماعة من أصحابه، يحمل لواءه أمير المؤمنين عليه السلام .. يريد (كرز بن جابر) حيث كان قد أغار على سرح المدينة، لكن (كرز) كان قد فر، فلم يدركه الرسول ﷺ ورجع إلى (المدينة).

ولقد كانت هذه الحركات المسلحة بمنزلة (دوريات) في هذا الزمان، تسبب رهبة العدو، وأن يحسب للإسلام حسابه، فلا يطمع في المدينة، ولا في المسلمين الذين في مكة وغيرها طامع ..

وقد نرى أمثال هذه الحركات، التي لا تنتهي بحرب كثيرة في مدة

حياة الرسول ﷺ.

كما إنا نرى من هذه اللمحة الخاطفة: أن الرسول ﷺ ابتدأ ـ في المدينة ـ بإظهار القوة والبسالة، بعد سنة من هجرته..وأنه اتفق له كل شهر ـ تقريباً ـ خروجاً وحركة.

ولو حسبنا غزوات الرسول ﷺ وحروبه ـ البالغة نيفاً وثمانين ـ ووزعناها على مدة إقامة الرسول ﷺ في (المدينة) التي هي (عشر سنوات) لكان من نصيب كل شهر ونصف ـ تقريباً ـ حركة مسلحة..

وذلك مما يدل على نشاط الرسول ﷺ المتزايد، الذي لم يعرف كللا ولا مللاً.

٩
غزوة بدر الكبرى

وخرج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان من نفس السنة، مع ثلاثمائة وثلاثة عشر من الأنصار والمهاجرين، والراية بيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، يريدون إرهاب قريش لينقلعوا عن أذى المسلمين، بالتعريض لعيرهم المقدم من الشام..

لكن العير أفلت..

وبعد لأي طلع الكفار من مكة كاملو العدد والعدة يريدون المحاربة، وعددهم ما يقرب من ألف مقاتل.

واصطف الجانبان في أرض كانت فيها (بئر) تسمى (بدراً).

فلما التقى الجمعان تقدم (عُتبة) و(شيبة) و(الوليد) من أبطال الكفار، وخرج من صفوف المسلمين لمبارزتهم (أمير المؤمنين) و(حمزة) و(عبيدة) عليهم السلام.

فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: «غضوا أبصاركم، وعضوا على النواجذ» ثم رفع يده الكريمة فقال:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد» ..

وأخذ ﷺ كفاً من الحصى فرمى به في وجوه قريش، وقال: «شاهت الوجوه».

واستجاب الله دعاء الرسول ﷺ، فأنزل (ملائكة) من السماء لنصرة المسلمين، وبعث الله رياحاً تضرب وجوه قريش، وألقى في قلوبهم رعباً عظيماً.

وانتصر (علي) و(حمزة) و(عُبيدة) عليهم السلام، على أقرانهم فقتلوهم، واشترك الإمام عليه السلام في قتل جميع أولئك الثلاثة.

وانكشف الحرب عن سبعين قتيلاً من قريش، وسبعين أسيراً.

كما إنه قُتل في هذه المعركة العدو اللدود للإسلام والمسلمين (أبو جهل).

وانتهت المعركة بانتصار المسلمين، وانهزام الكفار.

وبذلك حقق للرسول ﷺ أعظم نصر مادي وأدبي، فقد اشتهرت قوة الإسلام في الجزيرة العربية وخافت القبائل جانب المسلمين، مما أوقفهم عند حدهم، وقلّت أطماعهم في غزو الرسول ﷺ. كما قويت قلوب أولئك الذين مالوا إلى الإسلام لكنهم خافوا من إظهاره، فرأوا الأبواب مفتوحة في وجوههم لقبول الدين الجديد.

١٠
بنو قينقاع

وخرج الرسول ﷺ في شوال من نفس السنة، لمحاربة (بني قينقاع) وكانوا من اليهود الذين وادعهم النبي ﷺ ليأمن جانبهم.. فخانوا، وكان من قصة خيانتهم:

أن امرأة من المسلمين جلست إلى صائغ يهودي، فراودها ليكشف وجهها، لكن المسلمة اعتصمت بالحجاب، فعمد اليهودي إلى طرف ثوب المرأة فعقده إلى ظهرها، بحيث لم تعلم المرأة بالأمر، فلما قامت المرأة عن مكانها، انكشف سوأتها، فضحك اليهودي وغيره عليها، وخجلت المرأة وصاحت تستصرخ..

فوثب رجل من المسلمين الغيارى على اليهودي، فقتله، لما ألحقه بالمسلمة من الهتك والفضيحة.

وهنا انتصر اليهود لزميلهم المقتول، فاجتمعوا على المسلم، فقتلوه.. فاستطار الشر بين المسلمين وبين (بني قينقاع).

فخرج الرسول ﷺ مع جمع من أصحابه إليهم، واستخلف في المدينة (أبا لبابة) وأعطى لواءه بيد عمه (حمزة عليه السلام) فحاصرهم

خمس عشرة ليلة، إلى هلال ذي القعدة.

فقذف الله في قلوب اليهود الرعب، حتى أظهروا أنهم مستعدون لحكم الرسول ﷺ، وأنهم لا يطيقون محاربته، وكان الحكم الذي تراضى عليه الطرفان أن يكون لليهود نساؤهم وذراريهم، ويكون للمسلمين أموالهم، وأن يرحلوا عن المدينة.

فرحلوا عن المدينة، إلى (أذرعات) الشام وخلفوا أموالهم وأراضيهم للمسلمين.

وكان هذا الحكم خطة حكيمة من الرسول ﷺ حيث تخلص من قبيلة يهودية، كانت من ألد أعداء الإسلام، لا يؤمن جانبها[1]، كما أن الأموال والأراضي صارت للمسلمين غنيمة باردة لم تكلفهم حرباً وقتالاً.

وبهذا الظفر الثاني، تلو ظفر (بدر)، ارتفعت معنويات المسلمين، إلى درجة هائلة، واطمئنوا بقوتهم المعنوية، كما رهب الأعداء كافة جانبهم، فهؤلاء اليهود، وهؤلاء كفار قريش يخسرون

---

(١) وكان هذا الحكم خطوة إنسانية من رسول الله ﷺ حيث لم يقتلهم، مع أنه كان من المتعارف يومذاك أن يقتل المنتصر طرفه ليأمن شره.

أمام المسلمين، مع قلة عددهم، وضئالة عدتهم.

١١
الكدر

وخرج الرسول ﷺ في شوال من نفس السنة ـ على قول ـ إلى قبيلة تسمى (بني سليم) فإنهم اجتمعوا على ماء يسمى (الكدر) للهجوم على المدينة، فأعطى النبي ﷺ رايته أمير المؤمنين عليه السلام، وخرج في مائتين من أصحابه، ولما وصل إلى محلهم، وجدهم قد تفرقوا، فرجع إلى المدينة.

السويق

وخرج الرسول ﷺ في ذي الحجة من نفس السنة، في مائتين من المهاجرين والأنصار، لرد اعتداء أبي سفيان، وسمّي بغزوة (السويق) لأنه كان أكثر زاد المشركين، وغنمها المسلمون.

وكان سبب هذه الغزوة أنا (أبا سفيان) زعيم المشركين، نذر أن لا يمس النساء، وأن لا يستعمل الدهن، حتى يغزو النبي ﷺ. فخرج في مائتي راكب من قريش، ليبر يمينه، حتى أتوا (العريض) وهي ناحية من (المدينة) على ثلاثة أميال، فحرقوا نخلاً، وقتلوا بعض الأنصار، فرأى (أبو سفيان) أنه بهذا العمل قد انحلت يمينه.

وخرج النبي ﷺ في طلبه، فهربوا، وجعلوا يلقون جرب السويق، وهي عامة زادهم، طلباً للتخفيف فيأخذها المسلمون. ولم يصلهم النبي ﷺ، فكرّ راجعاً إلى المدينة.

غطفان

وخرج الرسول ﷺ في ربيع الأول في السنة الثالثة من الهجرة، مع أربعمائة وخمسين من المسلمين. لرد (دعثور)، فإنه كان قد جمع جيشاً من (بني ثعلبة) و(محارب) يريدون الإغارة على المدينة..

فخرج إليهم الرسول ﷺ حتى وصل إلى (غطفان) وهي ناحية بـ (نجد) وحيث تقابل الطرفان خرج الرسول ﷺ ـ بعيداً عن أصحابه ـ لقضاء حاجة، فأصابه مطر فبلّ ثوبه ﷺ، وقد جعل الرسول ﷺ (وادي أمر) بينه وبين أصحابه، فنزع ثيابه ونشرها على شجرة لتجف واضطجع تحتها..

فرأى (دعثور) الرسول ﷺ بهذه الحالة فطمع فيه، فأقبل حتى وقف على رأس الرسول ﷺ، مجرداً سيفه ليقتل النبي ﷺ قائلاً: من يمنعك مني؟

فقال الرسول ﷺ : «الله عزوجل»

ودفع جبرئيل عليه السلام (دعثور) فسقط، وقام النبي ﷺ على رأسه آخذ سيفه، قائلاً: من يمنعك مني؟

قال (دعثور): لا أحد..

ثم شهد (دعثور) الشهادتين وحسن إسلامه ودعا قومه إلى الإسلام..

وانتهى الأمر بسلام..

وعاد الرسول ﷺ إلى المدينة.

بحران

وخرج الرسول ﷺ في جمادى الأولى من نفس السنة، إلى (بحران) وهي قرية من نواحي (الربذة) مع ثلاثمائة من أصحابه، وذلك أن جمعاً من (بني سليم) تجمعوا هناك يريدون الكيد، فلما وصل إليهم الرسول ﷺ تفرقوا، فلم تقع حرب، ورجع الرسول ﷺ إلى المدينة.

١٢
غزوة أحُد

وخرج الرسول ﷺ في منتصف شوال، من نفس السنة، إلى (أُحُد) وهو جبل، يقرب من المدينة، مقدار فرسخ.

وكان السبب أن الكفار، جمعوا عُدتهم للانتقام من المسلمين، الذين غلبوهم في (بدر) فاكتملت عدتهم، وكانوا خمسة آلاف، وكان عدد المسلمين ستمائة..

وكان لواء الرسول ﷺ بيد (مصعب)، وجعل الرسول ﷺ خلف جيشه خمسين رجلاً برئاسة (عبد الله) لئلا يباغتهم العدو من خلفهم، وأمر هؤلاء أن لا يتحركوا من مواضعهم، سواء غلب المسلمون أم غُلبوا.

ثم خطب النبي ﷺ خطبة، وأجاز المسلمين بالقتال.

واندفع الطرفان يقاتلون، بأقوى ما يقدرون عليه، أما المسلمون فيطلبون نصرة الإسلام، وتقدم الدين، ونشر العدل، وأما الكفار فيطلبون الثأر لقتلاهم في (بدر) ويريدون الانتقام من الدين

ورسوله، ووراؤهم نساؤهم تشجعهم وتحثهم على الصمود والاستبسال..

وكانت (هند) زوجة (أبي سفيان) قد وعدت عبده (وحشياً) إن قتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو علياً عليه السلام أو حمزة عليه السلام أن تعتقه.

لكن (الوحشي) لم يجرأ على الإقدام على قتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأمير عليه السلام، فعمد إلى حراب، فصوبه إلى حمزة عليه السلام فأصاب بطنه، وخرج من ظهره، فاستشهد عليه السلام، وسماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (سيد الشهداء).

وعلى الرغم من الخسارة الفادحة التي لحقت بالمسلمين من قتل حمزة عليه السلام، فإن قواتهم بقيت مسيطرة على الموقف تماماً..

وأخذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكثر القتلى في حملة لواء المشركين. فقد كان لواؤهم بيد (بني عبد الدار) فقتل الإمام عليه السلام منهم الحامل الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع، ثم الخامس، ثم السادس، ثم السابع، ثم الثامن، ثم التاسع، ثم حمله عبد لهم، فصرعه الإمام عاشر عشرة.. وكانوا جميعاً من الشجعان الذين لا نظير لهم.

ويُنسب إلى الإمام عليه السلام أنه أنشد، بعدما لاقى (سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام):

«أفاطم، هاك السيف غير ذميم

فلست برعديد، ولا بمليم

اميطى دماء القوم عنه فإنه

سقى آل عبد الدار سقي حميم»

١٣
عندما خالفوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

سيطر المسلمون على الحرب في (أُحُد) أول الأمر حتى تصدعت صفوف المشركين، فزحف المسلمون عليهم، فانهزموا أمامهم كأنهم جراد منتشر، حتى أحاط المسلمون بنساء المشركين ووقع صنمهم الذي حملوه على جمل للتبرك به..

ولما طاردهم المسلمون، رجعوا يجمعون الغنيمة..

وخالف أصحاب (عبد الله) الذي جعلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجبل، وقال بعضهم لبعض: (لِمَ تقيمون هاهنا، وقد هزم الله عدوكم،

وهؤلاء أخوانكم ينتهبون العسكر)؟

ولم يفدهم تذكير (عبد الله) بوصية الرسول ﷺ التي أوصاهم بعدم التخلي على مراكزهم سواء غلب المسلمون أم غُلبوا..

فتوجهوا إلاّ قليل منهم إلى المسلمين ليشتركوا معهم في النهب بغنيمة.

وهنا .. انتهز (خالد بن الوليد) فرصة ترك هؤلاء مراكزهم في الجبل، فهجم على مواضع الرماة، فكشفهم، لقلتهم ثم هجم (خالد) وجيشه على المسلمين من خلفهم، ونادى بقريش أن يرجعوا، فالتحمت عساكر الكفار من جميع الجوانب فطوقوا المسلمين، وأحاطوا بهم من كل جانب، وكانت مباغتة بالنسبة إلى المسلمين، وهم مشتغلون بجمع الغنيمة، غير متهيئين للقتال، فانهزم المسلمون ولم يبق منهم إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام وبعض آخر، وأحاط الكفار بالرسول ﷺ من كل جانب يعزمون قتله..

وكلما تشد إليه ﷺ كتيبة، قال: «يا علي اكشفها»، فينقض فيهم علي عليه السلام فيحصدها بسيفه، ولم يزل الإمام عليه السلام يحارب، حتى أصابه تسعون جراحة في رأسه ووجهه، وصدره وبطنه، ورجليه ويديه، وانكسر سيف الإمام عليه السلام فطلب من النبي ﷺ

سيفاً، فنزل عليه (ذو الفقار)، ونادى مناد من السماء:

«لا فتى إلاّ علي.. ولا سيف إلاّ ذو الفقار».

ونادى مناد من المشركين: قُتل محمد!!.

فارتدّ بعض الأصحاب، وجعل بعض الأصحاب يحاربون، قائلين إنه لو مات النبي ﷺ فإنهم يحاربون الله الذي لم يمت..

وشجوا وجه النبي ﷺ وكسروا بعض أسنانه، وقتل صاحب لواء رسول الله ﷺ (مصعب) بعد أن قُطعت يداه، وكان عدد القتلى من المسلمين سبعين شخصاً.

لكن الرسول ﷺ أخذ موقفاً حازماً، وتمكن أخيراً جمع المسلمين حوله، وهزيمة المشركين، وبهذا انتهت المعركة.

١٤
النصر في معركة أحد

كان النصر الأخير في (أُحُد) للمسلمين، لكن بعد أن صرع منهم سبعون، وجُرح النبي ﷺ والوصي عليه السلام جراحات بالغة، وقُتل (حمزة عليه السلام) عم النبي ﷺ سيد الشهداء.

ولعبت (هند) أم (معاوية) في هذا الحرب دوراً مخزياً، فقد كانت تهلهل وتضرب الدفوف ـ ابتداء الحرب ـ تشجيعاً للكفار..

وكانت قد هيأت (الميل والمكحلة) فإذا رأت فرار أحد الكفار، دفعتها إليه قائلة:

إنما أنت امرأة فاكتحل بها، تقصد بذلك رده إلى القتال..

وحرضت (الوحشي) على قتل (حمزة) ولما قُتل، واُخبرت بذلك، جاءت حتى وقفت عليه وقطّعت (أنفه) و(أصابعه) وشقت بطنه، وأخذت كبده فوضعتها في فيها ولاكتها، لكنها تحجرت في فيها، فلم تتمكن من ازدرادها..

ومن هناك عُرفت بـ(آكلة الأكباد).

وصنعت بعد الحرب، من هذه الأشلاء المقطعة (قلادة) تقلدت بها، وكانت تفتخر على نساء (مكة) بذلك.

كما أن (أبا سفيان) زوجها، لعب دوراً مخزياً في هذه الحرب ومن أعماله اللاإنسانية، ما حكاه (حليس) سيد الأحباش، قال:

مررت بأبي سفيان، وهو على جثة (حمزة) يضرب بزج رمحه في شدق (حمزة) ويقول: ذق، يا عاق..

فقلت متعجباً من فعله البشع بالجثة: هذا يزعم أنه سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون؟

فخجل (أبو سفيان) وترجى مني كتمان الأمر، وقال: إنه (زلة) فاكتمها عني.

وبعدما وضعت الحرب أوزارها، أمر الرسول ﷺ المسلمين، بحفر القبور للقتلى، وصلى عليهم، وأمر بأن يزملوا في ثيابهم ودمائهم، ثم دفنهم كل اثنين في قبر.. وكل ثلاث في قبر.. وهكذا .. وخصص (حمزة) من بينهم، بأن كبر على جنازته سبعين تكبيرة.

وقد كان وقع هذا الحرب أليماً على الرسول ﷺ وأصحابه..

كما أن استشهاد حمزة عليه السلام كان خسارة فادحة، إذ كان ثالث المتحمسين للإسلام، بعد الرسول وعلي (عليهما الصلاة والسلام)..

وزلزلت هذه الوقعة مكانة المسلمين السامية في نفوس أهل مكة واليهود والقبائل، بعد أن اكتسبوا هيبة لا تجارى، بعد وقعة بدر.

١٥
حمراء الأسد

لما رجع الرسول ﷺ من غزوة (أحُد) أوحى الله تعالى إليه: أن أخرج في وقتك هذا بطلب قريش، ولا يخرج معك أصحابك إلاّ من كانت به جراحة، فخرج الرسول ﷺ بأصحابه في غد يوم (أحُد) يريد (قريش).

وإنما جاء الوحي بهذا الخروج، ليخفف عن وقع الهزيمة في (أحُد) ويرد إلى المسلمين معنوياتهم التي فقدوها، وليعيد إلى المسلمين سلطانهم في النفوس، وتدخل الرهبة في روع الكفار واليهود وسائر المناوئين.

فخرج المسلمون، وكان من شدة جراح بعضهم أن لم يتمكن من المسير المستمر، فكان يحمله بعض المسلمين فينة ويمشي فينة، حتى وصلوا إلى (الروحاء) على ثمانية أميال من المدينة.

لكن (قريشاً) لما علمت بخروج المسلمين فرت، إذ رهبت جانب هذه الحركة الجريئة التي كانت لها دلالتها الرفيعة.

فإن (أبا سفيان) لما سمع بخروج المسلمين لقتال (قريش) خاف أن يكون الرسول ﷺ جاء من المدينة بقوات جديدة، فكان يترصد الأخبار، ليطلع على الحال، وقد وقع في قلبه هول عظيم من هذه الحركة، إذ هزيمة المسلمين في أحُد، كانت مكيدة، لا انهزاماً حقيقاً، فمن الجدير أن يخشى من المسلمين، وقد ساعدت الأقدار، هذا المعنى.

فقد مر بأبي سفيان (معن) وكان قد مر قبل ذلك بالنبي ﷺ وأصحابه، فسأله أبو سفيان عن المسلمين وكان (معن) لا يزال مشركاً، مما يسبب الوثوق بكلامه؟.

فأجاب (معن): «إن محمداً قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، وقد اجتمع معه من كان قد تخلف عنه، وكلهم أشد ما يكون عليكم حنقاً ومنكم للثأر طلباً».

وهنا أُسقط في يد (أبي سفيان) ورأى لزاماً عليه أن يفر، لئلا يصطدم بالجيش الإسلامي حتى تنكسر قريش، بما لا تقوم لهم قائمة من بعد، ففروا..

ولما وصل النبي ﷺ وعلم بفرار القوم بقى في (الروحاء) أياماً ثم رجع إلى المدينة، وبهذه الحركة استرد المسلمون، شيئاً كبيراً من

سمعتهم التي كانوا قد فقدوها يوم (أحُد).

١٦
بنو النضير

قتل بعض أصحاب الرسول ﷺ نفرين ممن كانا في عهد الإسلام ـ وكان قتله لهما اشتباهاً ـ فأراد النبي ﷺ أن يستقرض ديتهما من (بني النضير) وهم يهود قريب المدينة، عددهم زهاء الألف..

فأظهروا قبول إقراض الدية، وعزموا الرسول ﷺ داخل الحصن..

لكن الرسول ﷺ أبى، واتكى على جدار الحصن، وهناك نزل عليه (جبرئيل) عليه السلام وأخبره بأنهم عازمون على الغدر به، وتبين الرسول ﷺ ذلك من حركاتهم، حيث إنهم تآمروا بينهم أن يذهب أحدهم إلى سطح الجدار الذي كان الرسول ﷺ متكئاً عليه، فيلقي على رأس الرسول ﷺ حجر الرحى ليقضي على حياته الشريفة.

وقفل الرسول ﷺ راجعاً إلى المدينة، قبل أن يأخذ القرض،

وأرسل رسولاً إلى (بني النضير) أن نقضتم ميثاقكم، وأردتم الغدر، فاخرجوا من بلادي، وقد أجلتكم عشرة أيام..

وحينذاك لم يجدوا مناصاً عن الخروج.. إلا أن بعض المنافقين وعدهم النصر، ونهاهم عن الخروج، فلم يخرجوا، وأخبروا النبي ﷺ أنهم لن يخرجوا، فليفعل الرسول ﷺ ما بدا له، وعزموا له المقاتلة.

فخرج الرسول ﷺ مع جمع من أصحابه، ورايته بيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحصروا حصونهم، وأخذوا يحتلون بيوتهم، فكانت اليهود، تنسحب عن دار إلى دار، وكلما انسحبت فلشت البناء الذي في معرض الاحتلال، واستماتوا..

ويئس اليهود عن النجدة، وأرسلوا إلى النبي ﷺ رسولاً يطلبون منه أن يسمح لهم بالخروج جميعاً مع حمل جميع أموالهم.

فاذن لهم الرسول ﷺ بشرط أن لا يحملوا أكثر مما تحمله إبلهم فقط..

لكنهم لم يقبلوا، وبقوا مستميتين.

ولما ضيق عليهم الحصار، قبلوا بشرط الرسول ﷺ..

لكن الرسول ﷺ جزاهم عن عنادهم، فلم يسمح لهم بحمل شيء من أموالهم، وإنما أذن لهم بالخروج بدون حمل أثقالهم..

فقبلوا الشرط، وخرجوا وحدهم، وخلفوا أموالهم كلها للإسلام.

فقسم ﷺ الأموال بين المهاجرين الأولين وأعطى منها لنفرين من الأنصار.

وبجلاء بني النضير، استراح المسلمون من عدو لدود لهم، كان يكيد لاجتثاث الإسلام من جذوره.

١٧
ذات الرقاع

اجتمع (بنو ثعلبة) و(بنو محارب) و(بنو غطفان) في نجد، للهجوم على المدينة، وعلم الرسول ﷺ بذلك..

فخرج ﷺ في (أربعمائة) أو (سبعمائة) من أصحابه، حتى نزل (نخلا) وهي قريبة من (ذات الرقاع) وهي منزل تجرة كانت العرب تعبدها.

ومع أن الأعراب الذين تجمعوا لغزو المدينة، كانوا كثيرين إلاّ أنهم لما عرفوا بمباغتة الرسول ﷺ أُسقط في أيديهم، وأخذهم الرعب، فتفرقوا منهزمين قبل اللقاء، وتركوا نساءهم وثقلهم، وحيث وصل الرسول ﷺ لم يجد إلاّ النساء والمتاع فجعلها فيئاً للمسلمين، وعاد إلى المدينة.

الحراسة الليلية

وقد كان المسلمون في طريق عودتهم إلى المدينة حذرين، خوفاً من قيام المشركين بهجوم مقابل عليهم، فتناوبوا الحراسة ليلاً، وفي

ذات ليلة قال الرسول ﷺ: «من يحرسنا الليلة»؟ فانتدب عمار بن ياسر وعباد بن بشير للحراسة..

فجاء أحد من المشركين، ممن أسرت امرأته لإنقاذها، وكان الرجلان تناوبا الحراسة، فنام عمار وقام عباد يصلي، ويقرأ سورة (الكهف) بعد (الحمد).

رأى المشرك (عباد) فعلم أنه دبيئة القوم، فرماه بسهم، فأصابه، لكنه لم يقطع صلاته، ورماه بسهم ثاني، وبسهم ثالث، حتى خاف (عباد) من الهلاك، فأتم صلاته وأيقظ عمار، فلما رأى المشرك إياهما، علم أنه لا يتمكن مقابلتهما، ففر هارباً..

ولما رأى (عمار) ما بـ(عباد) من الجراح، قال: ألا أيقظتني أول ما رماك؟

قال (عباد): كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن اقطعها، فلما تابع على الرمي أعلمتك، وأيم الله لولا خوف أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها.

بدر الصغرى

قال (أبو سفيان) يوم (أحُد): (يوم بيوم بدر، والموعد العام المقبل).

لذا أمر الرسول ﷺ أصحابه بالخروج إلى (بدر) فخرج هو ﷺ معهم ينتظر وعد (أبي سفيان)..

وخرج (أبو سفيان) من (مكة) مع ألفي فارس، ووصلوا إلى (ظهران)، لكنهم لما علموا بخروج الرسول ﷺ خافوا وهلعوا ولم يجرؤا على الاقدام، فرجعوا إلى (مكة)..

وبقي الرسول ﷺ في (بدر) ثمانية أيام ينتظرهم، حتى علم برجوعهم إلى (مكة)، فآب ﷺ إلى المدينة.

١٨
دومة الجندل

البدو التي كانت تقطن منطقة (دومة الجندل) أخذت في الاعتداء على الناس والقوافل بالسلب والنهب، كما احتمل هجومها على المدينة..

لذاك عزم النبي ﷺ على المسير إليهم.

فخرج ﷺ في ألف من أصحابه، وهي تبعد عن (دمشق) خمس ليال، وكان الرسول ﷺ، يسير ليلاً ويكمن نهاراً، حتى وصلوا إليها، لكن الأخبار قد سبقتهم إلى (البدو) ففرّوا عن وجه النبي ﷺ، ولم يظفر بهم المسلمون فرجعوا إلى (المدينة) بعد أن زرعوا في نفوس تلك المنطقة رهبة للمسلمين، وخاف أهل (الدومة) من القيام مرة أخرى بالسلب والنهب لسائر القوافل.

بنو المصطلق

حشدت جموع (بني المصطلق) تحت قيادة (حارث) على ماء قرب مكة، يسمى (المريسع) لغزو المدينة، فبلغ ذلك الرسول ﷺ، فخرج في طلبهم، مع ألف من المسلمين، فأحاطوا بهم

ووقع القتال، وحيث كان الأمر مباغتة، ظفر المسلمون بهم، بعد أن قتلوا منهم عشرة، وقُتل من المسلمين رجل واحد، وأخذوا الأسرى قافلين إلى (المدينة).

وقد فرح المسلمون بهذا النصر السريع، إلاّ أن حادثاً بدل الفرح ألماً ومضضاً..

فقد تزاحم بعض المهاجرين والأنصار على الماء، مما سبب النزاع. فنادى الأنصاري (الخزرجي) يا معشر الأنصار!

ونادى المهاجري: يا معشر المهاجرين!

ووقعت فتنة استغلها (عبد الله بن أبي) المنافق.. وخاطب الأنصاري قائلاً: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم. ثم أردف: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز الأذل (يريد إخراج الرسول ﷺ والمهاجرين).

ولما علم النبي ﷺ بالأمر، أمر بالرحيل (فوراً) لئلا يستفحل الخطب، وتقع فتنة، ووصلوا إلى المدينة بعد سير طويل حيث دام ثلاثين ساعة، واستجاز (ابن عبد الله) النبي ﷺ في قتل أبيه، لكن الرسول ﷺ لم يأذن له قائلاً: إنا لا نقتله، بل نحسن صحبته ما بقى معنا. وفي هذه القصة نزلت (سورة المنافقين).

١٩
غزوة الأحزاب

ويسمى (الخندق)..

يئس المشركون واليهود والقبائل، من إمكان القضاء على الإسلام بانفرادهم، فتفكروا في تجميع قواهم، لضرب الإسلام..

فتجمعت عشرة آلاف مقاتل من (قريش) و(بني سليم) و(أسد) و(فزارة) و(أشجع) و(غطفان) عدا يهود (بني قريظة)..

ولما علم الرسول ﷺ بالأمر استشار أصحابه في الأمر، فإن هذه القوة الهائلة لا يمكن الصمود أمامها، وأخيراً قرر الرسول ﷺ عدم الخروج من المدينة، بل يحفر خندقاً حولها، ويجعل للخندق جهة خاصة للقتال، لئلا يحيط العسكر بالمسلمين، فيبيدوهم عن آخرهم.

وقد كان الرسول ﷺ عهد بحسن الجوار مع (بني قريظة) وهم يهود قرب المدينة، لكن (الأحزاب) تمكنت من استمالة (بني قريظة) لنقض العهد، وبذلك دخل في قلوب المسلمين رعب عظيم..

وبعد أن فرغ المسلمون من حفر (الخندق) أتتهم الجيش كالسيل، كما وصفها الله سبحانه:

﴿إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنّونَ بِاللهِ الظّنُونَاْ ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[1].

وبعدما تم حفر الخندق، خرج الرسول ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين يواجهون الأحزاب، وبينهما الخندق، وطال الأمر بين الطرفين بضعاً وعشرين ليلة، لم يكن بينهما إلاّ الرمي، فان الأحزاب لم يقدروا على العبور، والمسلمون لم يشاءوا ذلك..

وبعد ذلك جاء (عمرو بن عبد ود) و(عكرمة بن أبي جهل) وجماعة آخرون من أقوى شجعان الأحزاب، فعبروا الخندق عن مضيق كان فيه، ثم أخذوا يجولون ويصولون، يطلبون المبارزة من المسلمين.. لكن المسلمين قد أخذتهم الرهبة، فلم يجرأ أحد منهم على الإقدام.

فأنشأ (عمر بن عبد ود):

ولقد بححت من النـداء بجمعكم هل من مبـارز

---

(١) سورة الأحزاب: ١٠ ـ ١١.

إلى آخر الأبيات..

وهنا قام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مرات يستأذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمبارزته، لكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يأذن له، ليمتحن بعض المسلمين.. وأخيراً أذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عليه السلام ..

٢٠
قتل عمرو بن عبد ود

خرج الإمام علي عليه السلام من معسكر المسلمين يريد مبارزة (عمرو).. وأنشد عليه السلام يقول في جوابه:

«لا تعجلن فقد أتـــاك مجيب دعوتك غير عاجز
ذو نيـــة وبصيـــرة والصدق منجى كل فائـز
إني لأرجو أن أقيـــم عليك نائحة الجنائـــز
مـن ضربة نجلاء يبقـــى صوتها بعد الهزاهـــز»

ولما تقابل (الإمام عليه السلام) و(عمرو) قال له الإمام:

«إنك كنت تقول في الجاهلية لا يدعوني أحد إلى ثلاثة إلاّ قبلت واحدة منها»؟.

قال (عمرو): أجل..

قال الإمام عليه السلام: «فإني أدعوك إلى الشهادتين».

قال (عمرو): يا بن أخي أخّر هذه عني..

قال الإمام عليه السلام: «والثانية أن ترجع من حيث أتيت) ـ أي تترك الحرب وترجع إلى محلك ـ..

قال (عمرو): لا تحدث قريش بهذا أبداً.

قال الإمام عليه السلام: «والثالثة أن تنزل من على فرسك فتقاتلني».

فقبل (عمرو) ذلك..

لكن امتلأ عمرو رعباً من الإمام عليه السلام..

وتبادلا السيف، فأصاب (عمرو) رأسَ الإمام عليه السلام فشجه، فعصبه الإمام عليه السلام وضرب (عمراً) ضربة أسقط رجليه، فخر على الأرض، وعلت الغبرة، وأمدّ الطرفان أعناقهما ليروا الغالب من المغلوب..

ولما انجلت الغبرة رأوا (الإمام عليه السلام) جالساً على صدر (عمرو) وكبّر الإمام عليه السلام تكبيرة عالية، وبهذا المنظر والتكبير قويت قلوب المسلمين وتزلزلت قلوب الكافرين.. ثم قطع الإمام عليه السلام رأس (عمرو) وأقبل به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقُتل بعض آخر ممن أقتحم (الخندق)، وفر الباقون.

وتشتت كلمة الأحزاب. وأُلقي الرعب في قلوبهم، ولم يطيقوا إدامة الحصار، وتخلت عنهم (الأعراب) و(بنو قريظة).

ولذا تفرقوا عن أطراف المدينة إلى (مكة) وسائر محالهم.

وقد كان قتلى المسلمين (ستة) وقتلى الكفار (دون العشرة)، ومر الأمر بسلام، وزادت قوة المسلمين المعنوية إلى حد هائل، مما يئس الناس الكفار من النيل عنهم بعد ذلك.

* * *

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

كربلاء المقدسة

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

الفهرس

المقدمة ٣
خروج النبي ﷺ من مكة ٥
قصة الإسراء والمعراج ٧
اللقاء بأهل يثرب في منى ٩
مهمة الرسول ﷺ في المدينة ١١
في دار أبي أيوب ١٣
مسجد النبي ﷺ ١٥
المؤمنون والمنافقون والكفار ١٧
الحروب والغزوات ١٩
أبواء ١٩
بواط ١٩
العشيرة ٢٠
بدر الأولى ٢٠
غزوة بدر الكبرى ٢٢
بنو قينقاع ٢٤
الكدر ٢٧
السويق ٢٧
غطفان ٢٨
بحران ٢٩
غزوة أحُد ٣٠
عندما خالفوا الرسول ﷺ ٣٢
النصر في معركة أحد ٣٤

حمراء الأسد ٣٨
بنو النضير ٤٠
ذات الرقاع ٤٣
الحراسة الليلية ٤٣
بدر الصغرى ٤٥
دومة الجندل ٤٦
بنو المصطلق ٤٦
غزوة الأحزاب ٤٨
قتل عمرو بن عبد ود ٥٠
الفهرس ٥٣

صورة من الطبعة الأولى للكتاب عام ١٣٨٥ هـ